إسهامات سعيد بن قدورة الجزائري الدرس اللغوي

أ.مبدوعة كريمة

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

Karim2015m@yahoo.com

الملخص باللغة العربية:

يتناول هذا المقال أهم الاسهامات التي قام بها العالم الجليل" سعيد بن ابراهيم بن قدورة الجزائري "في الدرس اللغوي في فترة التواجد العثماني بالجزائر.و هي قيامه بشرح السلم المررونق في علم المنطق و الأساس فيه هو قسم الدلالة حيث شرح وقد قدم صورة واضحة وبسيطة عن علم الدلالة بصفة عامة في الدرس اللغوي وفي الدرس المنطقي بصفة خاصة والذي تضمن قضايا لغوية مهمة في الدرس اللغوي عموما والدرس الدلالي خصوصا. سيما الفصل المعنون بمباحث الالفاظ. وهذه القضايا هي: الدال المدلول الدلالة اللفظية،الدلالة الوضعية،دلالة الالتزام الحرف الفعل الاسم،الترادف التباين المتواطأ المشكك العرض العام العرض الخاص وغيرها من المصطلحات الهامة ذات الصلة بالدرسين اللغوي والدلالي علم ما دل على تمكن هذا العالم بعلوم اللغة بالرغم من اشتهاره بالعمل و التفوق في الفتوى .

الكلمات المفتاحية:

سعيد بن ابراهيم بن قدورة الجزائري، الدال، الدليل، الدلالة، الدال المفرد الدال المركب الدال المشترك الدال المتباين الدال المتواطئ.الدلالة اللفظية الدلالة الوضعية دلالة الالتزام.

الملخص باللغة الانجليزية:

This article is the most important contributions made by the world of Said bin Ibrahim bin Qadoura Algerian in the lesson of language and is arrogant peace Almoronq in the science of logic and the basis of the logical lesson in particular and Turf linguistic issues in the language lesson in general and the lesson semantic accurate. Especially the chapter entitled "Speech Research". The following are the issues: Verbal significance, Verbal, Verbal, Verbal, Verbal, King, King

Keyword : Said bin Ibrahim bin Qadoura Algerian significance, Verbal, , Verbal, Verbal, King, King signifier

تمكنت الجزائر من توريث رصيد ثقافي زاخر بالمؤلفات والأعمال الفنية في مختلف الميادين، فشملت هذه الحياة الثقافية الجانب الديني والجانب الإجتماعي، مع الجانب العلمي والمعياري [1] كما شملت العلوم اللغوية والنحو خصوصا، ولم يؤلف هؤلاء كثيرا في العلوم اللغوية، إلا أنهم قد اهتموا بعلم النحو إهتماما ملحوظا، وتركوا فيه إنتاجا طيبا وعرف علماء الجزائر بحفظ متون النحو وبعض الشروح وإدراك لمسائلها عن ظهر قلب، ومن الجزائريين اللذين اشتهروا بالدراسات النحوية نذكر: يحي الشاوي، عبد الكريم الفكون ومحمد التواتي وغيرهم، كما اعتنوا عناية كبيرة بالمنظومات النحوية، وأشهرها ألفية إبن مالك والأجرومية، أما العلوم الشرعية فقد تميزت بما يلي:

بالتقليد والتكرار والحفظ، فالفقهاء قلما اجتهدوا أو استقلوا بآرائهم، " ومع ذلك فقد حاول بعضهم كسر هذا الجدار"[2] منهم عبد الكريم الفكون* الذي ثار على الجمود الفكري لدى فقهاء عصره" وقد روى سعيد بن قدورة أن الرحال كانت تشد إلى شيخه محمد بن علي أبهلولالمجاجي لشهرته في التفسير والحديث" [3] هذا الذي اعتنى به الجزائريون عناية كبيرة تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة، وممن اشتهر في علم الحديث عبد الرحمان الثعالبي [4] وسعيد المقري.

أما فيما يخص علم التاريخ والسير فقد عرف بكثرة اهتمامهم به وكثافة إنتاجهم فيه، وقد انفردالورتلاني عن معاصريه بغزارة إنتاجه، حيث كان يدرس ويبحث ويؤلف ويعلق على مؤلفات وشروح سابقيه، وأشهر مؤلفاته نجد: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار والمعروف باسم "الرحلة الورتلانية"، بالإضافة إلى هذا فقد ترك الجزائريون أعمالا في التاريخ والتراجم والسير خلال القرن الثاني عشر الهجري بعضها ما يزال مرجعا أو مصدرا إلى حد اليوم.

أما علم المنطق فقدكان إنتاج الجزائريين فيه قليل، وممن برز فيه عبد الرحمان الأخضري الذي أجاد ونجح في اختصار قواعد المنطق وتوضيحها في متنه المعروف بالسلم المرونق في علم المنطق واعتبر هذا العمل الذي قام به هذا العالم الجليل عمدة الأستاذ والتلميذ على حد سواء من جهة ومن جهة أخرى من أبرز ما ألف في علم المنطق في الجزائر خلال العهد العثماني، وقد توالت الشروح والدراسات لهذا العمل وزاد منإهتمام العلماء به حتى فرض نفسه على الدراسات المنطقية حوالي أربعة قرون وممن شرحه وعلق عليه سعيد قدورة، وقد وضع حاشية عليه منبها فيها على بعض الأمور التي قد يكون الناظم أغفلها.

1/التعريف بالشيخ سعيد قدورة:

هو سعيد بن قدورة الجزائري، فقيه، مشارك في بعض العلوم، إسمه الكامل سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمان الشهير بقدورة، وقد اشتهر أيضا بنسبته الجزائري، نشأ في الجزائر، وقد ولد لوالدين جزائريين، بعد إنتقالهما من قدورة القريبة من جزيرة جربة على ساحل تونس إلى مدينة الجزائر.

2/تعليمه:

تلقى قدورة تعليمه الأول في طفولته على يد معلمه الأول الشيخ محمد بن أبي القاسم المطماطي فبعد وفاة والديه ولمدة ثلاثة سنوات ظل يحضر دروس شيخه المطماطي في الجامع الكبير نظرا للمكانة والسمعة التي كان

يتمتع بها هذا الشيخ في ذلك الوقت، وبعد انقضاء هذه المدة، وكعادة الطلاب في مثل سن قدورة على عدم استقرارهم في دراستهم على شيخ واحد وحبهم للأخذ وتحصيل العلم عن أشهر العلماء وأبرزهم مع رغبة في السفر والتغرب في سبيل طلب العلم على إعتبار أن ذلك جهادا وفريضة سافر قدورة لطلب العلم.

3/وظائفه:

تدرج سعيد قدورة في وظائفه فبوفاة شيخه تولى إمامة جامع البلاط وخطيب جامع سيدي رمضان، وفي نفس الوقت كان إمام وخطيب مدرس في الجامع الكبير، بعد ذلك تولى مهام مفتي المالكية ووكيل أوقاف الجامع الكبير، وقد سعى قدورة بنفسه إلى هذا المنصب الذي كان يتهيأ له منذ عودته من زاوية علي بن آبهلولالمجاجي إلى مدينة الجزائر وأخذ بهذا الدور عن شيخه المطماطي، وبهذا يكون قدورة قد وصل إلى قمة السلم الوظيفي العلمي، وذلك أن الباشا في ذلك الوقت هو الذي كان يعين هذه الوظائف المذكورة، رغم أنه كان في مقتبل العمر فقد تولى تلك المهمة الصعبة، مما يؤكد قدرته.

4/مكانته الإجتماعية والعلمية:

سعى إلى ممارسة التجارة، فما عرف عنه هذا الشيخ أنه كان رجلا ذكيا غاية الذكاء وطموحا غاية الطموح، عارفا بأحوال العصر وأهله، فاستغل هذه الصفات ليصبح من الأغنياء ويتاجر مع كبار التجار آنذاك كما هو معروف عن هذه الفترة* أنها كانت تمثل العصر الذهبي للتجارة ووفرة الأموال في الجزائر فكثرت أمواله وأشغاله كان ذلك سببا في رفع قيمته حتى أنه كان يقوم أو ينولى أربعة من النواب مكانه في الخطابة، وكان قدورة يدفع إلى هؤلاء أجورهم من ماله الخاص وليس من أوقاف الجامع لأنه غنيا ولأن النيابة كانت شخصية وليست رسمية، كما ذكر ذلك ابن المفتي [5]، واستمر هذا إلى غاية تقديمه لولده بدله في الفتوى والتدريس والخطابة في الجامع الكبير على الرغم من أن هذه الوظيفة شخصية وليست وراثية، وقل من يجرؤ على فعل ذلك.

مكانته العلمية:

وقد بلغ من قيمة قدورة العلمية أن الباشوات كانوا يقفون له إجلالا وإكبارا، ويقبلون يده، كما كانوا يقدمونه على المفتي الحنفي والذي كان يمثل المذهب الحاكم، وذلك لشدة تقديرهم له، وقد كانت له الدالة في المجلس العلمي* والقضائي الذي كان ينعقد برئاسته في الجامع الكبير، ولقيمته ومكانته العلمية كان يحضر هذا المجلس المفتيان والقاضيان الحنفي والمالكي، وبعض القضاة وممثل الباشا والكثير من العلماء مما يدل على مكانته بين هؤلاء وتقديرهم له، وقد حافظ قدورة على هذه المكانة العلمية بالرغم من أن هذه الفترة التي تولاها في الإفتاء كانت فترة طويلة "توافد خلالها العديد من الباشوات، وحدث فيها الكثير من الإضطرابات" [6] إضافة إلى هذه القيمة العلمية والمنزلة بين العلماء وفي وسط الحكماء بلغ به إلى أن يعتقد فيه قومه البركات والكرمات، النفع والضرر، حيث كانوا يعتبرونه من العلماء الصالحين والمرابطين.

/آثاره العلمية:

قد بدت مساهمة قدورة باللسان وبالتعليم والدرس أكثر منه بالتأليف، فما يلاحظ على مؤلفاته أنها كانت قليلة بالمقارنة مع عدد تلاميذه، ولأن مساهمته كانت في الدرس لا في التأليف وكانت باللسان لا بالتعليم، قلت مؤلفاته إلا أنه ومع ذلك نجد المترجمين قد نسبوا إليه بعض التأليف- والتي هي تلك الإملاءات التي كان يمليها على تلاميذته في الجامع الكبير أو جامع سيدي رمضان، وهي بأقلام النساخ وليست بقلمه هو، أو بأقلام الطلاب أنفسهم، وتنحصر هذه المؤلفات في المواد المدروسة من حديث وفقه ونحو ومنطق، "وهي مختصرة وموضحة لبعض المسائل التي قد تفوت الطلاب وهي في حجم الكراس"[7] ومنها:

أ – شرح خطبة مختصر خليل في الفقه.

ب –حاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل أيضا.

ج –نوازل تلمسانية.

د –رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو، وهي نبذة ذيل بها شرخ الخلاصة للمرادي.

هـ –شرح السلم المرونق في علم المنطق.

و –حاشية على شرح صغرى السنوسي: ولعلها هي الحاشية التي كتبها على شرح ابن خدة الراشدي لها.

ز –شرح على جوهرة التوحيد للقاني في العقائد.

ح –شرح الرامزة الشافية في علمي العروض والقافية للخزرجي وقد سماه شرح المنظومة الخزرجية في العروض[8].

كما كانت له عدة شروح وحواشي غير هذه المذكورة، إضافة إلى أنه كان شاعرا وراجزا، حيث أنه كتب قصيدة في رثاء شيخه آبهلول أثبت من خلالها براعته في علم العروض.

وفاته:

توفي الشيخ سعيد قدورة رحمه الله سنة (1066هـ-1656م) ودفن في زاوية الشيخ المرابط أحمد بن عبد الله الجزائري عند أقدام المطماطي[9]

وصف المخطوط: (**شرح السلم المرونق في علم المنطق لسعيد قدورة**): عنوان المخطوط: "شرح السلم المرونق في علم المنطق" (صاحبه سعيد بن ابراهيم الجزائري المعروف بقدورة، حجم هذا المخطوط هو 56 ورقة، مكتوبة من الوجه والظهر، أغلب أوراقه مسطرتها " 24 سطر"، وباقي أوراقه متوزعة بين 26 سطر، و25 سطر، متكونة من حوالي 15 كلمة في السطر الواحد. أي ما يعادل 360 كلمة في الصفحة الواحدة. قياس كل ورقة (22.5×16)، والمساحة المكتوبة من (18.5×13)، هذه الأوراق كتبت بخط غربي متوسط الجودة. وبحبر ذو لون بنّي داكن والمائل إلى الأسود الباهت. أما العناوين وأشباهها فقد كتبت باللون الأحمر، يضم هذا الكتاب في الجزء الأول منه شرح السلم المرونق في علم المنطق، وأما الجزء الأخير قد بدأ فيه الناسخ

بالحديث عن علم النحو وأوّل من وضع هذا العلم. كان ذلك في 07 أوراق. وأما باقي الأوراق فهي غير مكتوبة.

لقد احتوى كتاب السلم المرونق على سبعة فصول، وهي كالآتي:

الفصل الأول: وقد ذكر فيه (سبب تسميته) أهمية علم المنطق وهو أنّه يعصم الفكر من الوقوع في الخطأ أي يعصم الذهن عن الخطأ في الفكر.

الفصل الثاني: في جواز الاشتغال به وقد ذكر فيه الخلاف الواقع بين العلماء في جواز الاشتغال بعلم المنطق أو عدم جوازه بين مانع لذلك كالنووي ومحبّ لذلك كالغزالي ومجيزه باعتباره يوصل إلى الحقيقة وهو المؤلف.

الفصل الثالث في أنواع العلم الحادث وهي: إدراك المفرد أي حصول صورة الشيء في الذهن أو ما يسمى التصور، والنوع الثاني إدراك النسبة أي تصور نسبة حدوث الشيء أو التصديق.

الفصل الرابع في أنواع الدلالة اللفظية الوضعية وهي دلالة المطابقة. دلالة التضمن ودلالة الإلتزام وقد فصل في هذه الأنواع الثلاثة.

الفصل الخامس في القضايا وأحكامها: ذكر فيه أقسام القضايا وهي إما شرطية أو حملية. وهذه الحملية إما شخصية أو جزئية ثم شرع في بيان الأحكام المتعلقة بكل قسم.

الفصل السادس في القياس: فعرفه وذكر أقسامه وهي القياس الشرطي المسمى بالإستثناء وهو ما دلّ على النتيجة أو نقيضها بالفعل. والنوع الثاني أو القسم الثاني هو القياس بالإقتران وهو ما دلّ على النتيجة أو نقيضها بالقوة أي قوة اللفظ.

الفصل السابع في مباحث الألفاظ وهو موضوع دراستنا فقد ذكر فيه مفهوم اللفظ وأقسامه من لفظ مفرد ولفظ مركب. هذا اللفظ المركب قسمه إلى مركب كلي ومركب جزئي، ثم ذكر أقسام المفرد في نفسه على اعتبار أن اللفظ ينقسم باعتبارات كثيرة،ثم ذكر أقسام الدال المفرد باعتبار معناه وهي: اسم، فعل، حرف.

بعد هذا ذكر أقسام اللفظ الكلي باعتبار وحدته ووحدة مدلوله وهي: المتواطئ المشترك، المشكك والمتباين، كما تحدث عن نسبة الألفاظ للمعاني.

وهذا الفصل قد تركزت دراستنا عليه لارتباطه بالدرس اللغوي وباعتباره يشمل أحد فروع علم اللغة الحديث وصاحبه يمثل فترة مهمة من تاريخ الجزائر. ومحاولة منا لربط هذه الأفكار بما سبقها وبما جاء من بعدها واستغلال التشابه أو التمايز بينهما.

/**قيمة المخطوط:** تكمن قيمة هذا المخطوط فيما يلي:

-أن هذا الكتاب من تأليف علم من علماء الجزائر الكبّار وهو سعيد قدورة الجزائري أثناء فترة وصفت بالضّعف في مجال التأليف وهي فترة التواجد العثماني التركي بالجزائر (1516-1830).

–كونه من الكتب القلية التي ألفت في علم المنطق وتعرضت لمباحث الألفاظ.

–تميّزه بالوضوح وبأسلوبه المباشرة لتبسيط الفكرة وإيصالها للقارئ.

–تعرضة لقضية الدال والمدلول وعرض أراء العلماء وتعريفاتهم له.

–يمثل نوع من الإنتاج الثقافي للفترة الممتدة بين 1516–1830 في تاريخ الجزائر.

–يكشف عن منهج وأسلوب المؤلف وعن النهج الذي سار عليه العلماء الجزائريون في مؤلفاتهم.

أنه كتاب يقدم صورة واضحة وبسيطة عن الدال (اللفظ) بصفة عامة وعند علماء المنطق بصفة خاصة.

/**الموضوعات الدلالية (المصطلحات)**:

لقد تضمن "شرح السلم المرونق في علم المنطق عدة مصطلحات دلالية تعددت حسب تعدد الموضوعات المتناولة. سيما في الفصل المعنون بمباحث الألفاظ وهي: الدال، المدلول، اللفظ، اللفظ المفرد، اللفظ المركب، المفرد الكلي، المفرد الجزئي، الترادف، التباين، المتواطئ، المشكك، الدلالة اللفظية، الوضعيةن دلالة الإلتزامالدالالكلي، الدال الجزئي. الجنس، النوع، الفصل، العام، الخاص، جنس الأجناس، نوع الأنواع، الإسم، الفعل، الحرف، العرض العام، العرض الخاص، النوع الإضافي، النوع الحقيقي، الجنس القريب، الجنس المتوسط، الجنس العالي، المركب الطلبي، المركب الخبري، المركب الإنشائي، دلالة المركب الوضعية.

وهذه المصطلحات يستعملها في الغالب علماء المنطق.

أ/**مباحث الألفاظ ونسبة الألفاظ إلى معانيها**:

تدور دراسة الدال في فصل مباحث الألفاظ ضمن فنين:

1. يبحث في دلالة الألفاظ على المعاني وانقسام الألفاظ فيما بينها.
2. يبحث في غرقة المعاني بعضها ببعض، وانقسام الموجودات إلى ذاتية وعرضية.

وذلك مع عرض للتعريف بالدال ومثارات والتنبيه على ما أغفله الناظم في شرحه.

– ينقسم الدال (للفظ): إلى دال جزئي ودال (مركب) كلي.

دال مفرد ودال مركب وإلى اسم فعل حرف.وتتشعب الدّوال الدال المترادف (الألفاظ المترادفة).الدال المتواطئ(الألفاظ المتواطئة),الدال المشترك(الألفاظ

المشتركة),الدال المتباين (الألفاظ المتباينة)وتندرج علاقة الألفاظ والمعاني بعضها ببعض تحت موضوعين: الذاتي والعرضي. يتفرع العرضي إلى لازم ومفارق .ويتفرع الذاتي إلى جنس ونوع ومن خلال هذا يستعرض قدورة الدوال الخمسة.

التركيب الشكلي لفصل مباحث الألفاظ:

طابع الكتاب كغيره من حيث التبويب والفصول والمضامين. إنّما هو استمرار لاتجاه عرض المنطق الأرسطي بأبعاده (الأرسطية) الإسلامية. كما فعل الغزالي في كتابه: معيار العلم في فن المنطق". حيث يميل فيه إلى إدخال الألفاظ الإسلامية تمهيدا لإدخال المنطق بالتفكير الإسلامي. ومثلما فعل ابن سينا في العبارة.

لقد توسع قدورة في الحديث عن الدال وأقسامه في فصله مباحث الألفاظ. كما أطال شروحاته له. إذا ما قورن بما جاء في السلم المرونق لصاحبه عبد الرحمن الأخضري فجعل مبحث الدال ينقسم إلى قسمين: 1/موضوع الألفاظ والمعاني. 2/موضوع اللفظ وأقسامه.

-يتناول الموضوع الأول دلالة الدال (اللفظ):من حيث الإفراد والتركيب.من حيث الكلية والجزئية.

من حيث علاقة الإشتراك. التواطؤ. الترادف. التباين.

وكلّها وردت في السلم المرونق. لكن قدورة يفصلها أكثر في شرح السلم محيطا إياها بالأمثلة المختلفة والتنبيهات.

فقسم اللفظ المفرد والمركب في نفسه.وقسمه إلى الدال المترادف. المشكك. المتواطئ وذلك باعتبار وحدة الدال الكلي وباعتباره وحدة مدلوله.كما يضيف دلالة الألفاظ على معانيها من حيث الذاتي والعرضي وعرضه للكليات الخمس (الألفاظ الخمسة).

مباحث الدال(اللفظ):

1. الدال المفرد والدال المركب: يبدأ قدورة حديثه في شرح السلم محددا معنى الدال المفرد والدال المركب، وهو تقسيم للدال الجزئي من حيث النظر إلى معناه. فيقول في تعريف الدال المركب:" إن حقيقة المركب عند المناطقة هو الذي يراد بجزئه الدلالة على جزء معناه. نحو: زيدٌ قائم. فإن جملة هذا اللفظ يدل على معنى تركيبي. وهو كون زيد حصل له القيام في الماضي أو يحصل في الحال والاستقبال. وجزء هذا اللفظ وهو زيد مثلا يدل على جزء هذا المعنى. وهو ذات زيد". [10]فالدال المركب أو المؤلف هو الذي يدل على معنى وله أجزاء منها يلتئم مسموعه. ومن معانيها يلتئم معنى الجملة. ومعنى ذلك أنّه اللفظ الذي له جزء يدل على جزء معناه. كقولنا الإنسان يمشي. ولا يختلف هذا التعريف عما ورد عند معاصريه وسابقيه من المناطقة العرب بالمعنى نفس. فالدال المركب فهو الذي يدل كل جزء فيه على معنى.والمجموع يدل دلالة تامة. بحيث يصح السكوت عليه.

يبحث في دلالة الألفاظ على المعاني وانقسام الألفاظ فيما بينها. يبحث في علاقة المعاني بعضها ببعض، وانقسام الموجودات إلى ذاتية وعرضية.وذلك مع عرض للتعريف بالدال ومثارات والتنبيه على ما أغفله الناظم في شرحه.ينقسم الدال (للفظ): إلى دال جزئي ودال (مركب) كلي.دال مفرد ودال مركب وإلى اسم فعل حرف.وتتشعب الدّوال (الألفاظ) إلى:الدال المترادف (الألفاظ المترادفة)

الدال المتواطئ(الألفاظ المتواطئة)الدال المشترك(الألفاظ المشتركة)الدال المتباين (الألفاظ المتباينة)

وتندرج علاقة الألفاظ والمعاني بعضها ببعض تحت موضوعين: الذاتي والعرضي. يتفرع العرضي إلى لازم ومفارق .ويتفرع الذاتي إلى جنس ونوع ومن خلال هذا يستعرض قدورة الدوال الخمسة.

–الدال المفرد: وهو كما ذكره سعيد قدورة:" هو اللفظ الذي لا يدل جزؤه على جزء معناه. بأن لا يكون له جزء أصلا. كهمزة الإستفهام. أو له جزء لا معنى له. كحرف من حروف زيد مثلاً. أو له معنى غير مقصود كأبوكم وبعليك"[11].يشير قدورة في هذا القول إلى تعريف الدال المفرد وهو " الذي يدل على معنى. ولا جزء من أجزائه يدل بالذات على جزء من أجزاء ذلك المعنى"[12]. فالدال المفرد هو أن لا يدل شيء من أجزائه على شيء من المعاني البتة. ولا يدل شيء من أجزائه على شيء أصلا حين هو جزؤه وذلك نحو قولنا: الإنسان. فإنه يدل على معنى لا محالة وجزاءه لا يدل بهما على معنى لا محالة. أو أن يدلا على معنيين ليسا جزئي معنى الإنسان"[13].

وقد يكون الدال المفرد دالا مركبا وهو عندما تتجزأ دلالته بحيث لا تفصح عنه. وإنّما تتحول إلى دال غيره. مثل: عبد اللّه" فإنّه وإن جاز أن يجزأ إلى "عبدو"شمس" ولكن لا تكون دلالته من حيث يراد أن يقال: "عبد اللّه".

وما هو ملاحظ في تعريف قدورة لمبحث الدّال المفرد والدّال المركب بدؤه بالحديث عن الدّال المركب ثم الدّال المفرد. مع أن المخاطبات النظرية تكونت بألفاظ مؤلفة. والأفكار العقلية تكونت من أقوال عقلية مؤلفة. والمفرد كان قبل المؤلف. وجب عليه التكلم في الدّال المفرد أولاً ثم الدّال المركب ثانيا. ويجدر التساؤل هنا: لماذا أخر قدورة الحديث عن اللفظ المفرد إلى ما بعد اللفظ المركب؟ هل للتمهيد لدراسة أقسام المفرد بإعتباراته المختلفة؟

يشير قدورة إلى سبب تأخيره الحديث عن الدال المفرد إلى ما بعد الدّال المركب في قوله: "وإنّما بدأ بذكر المركب وتعريفه مع أن المفرد سابق في الوجود لان قيود المركب وجودية، وقيود المفرد عدمية سلبية. ولا يعقل سلب أمر إلاّ بعد تعقل ذلك الأمر المسلوب. فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكية. ولا تعقل الأعدام إلاّ بملكاتها والمركب ذو الملكة."[14]ولتوضيح هذا القول نقول مثلا: المثنى له علامته الدالة عليه وهي الألف في الرفع، والياء في الجرّ والنصب. والجمع المذكر السالم أيضا له علامته وهي الواو في الرفع والياء في الجرّ والنصب. وما بقي من هذه العلامات اللاحقة به فهو المفرد.

وربّما سبب آخر المرتبط بالتقليد. أي تقليد عبد الرحمن الأخضري في سلمه حين بدأ الحديث عن الدّال المركب ثم الدال المفرد. وفي تبويبه لمباحث الألفاظ. وقد تابعه قدورة في شرح السلم. لكن عبد الرحمن لم يشر إلى ذلك السبب. ولم يفصل في الإشارة إلى السبب وذكر التنبيهات عقب الحديث عن ذلك.بل أعقب بحث الألفاظ ببحث المعاني على خلاف ما فعله قدورة من إتباع كل مبحث بالتنبيهْ الواحد أو التنبيهات المتعددة. مع العلم أن

موضوعات الشرح لم تتغير كليّا. بل بقي طابع عبد الرحمن الأخضري والمنطق الغالب عليه. والإختلاف كان في إطالة الشرح والأمثلة والتنبيهات التي أعقبت كل مبحث.

لقد اعتنى قدورة في دراسته للألفاظ مكملا طريق عبد الرحمن في سلمه. مضيفا بالشرح شروحاً تفصيلية وتوضيحية متعمقا في دراسته المنطقية اللغوية. سعياً منه إلى تفسير وتوضيح الحدّ اللفظي.

فجمع بذلك بين طابع المنطق عند العرب المتمثل في دراسة الألفاظ بما تحمله من خلقيات ودلالات. وبين حدود المعاني التي وردت عند أرسطو.

تدور الأبحاث اللفظية في الشرح حول العلاقة بين الشكل والمضمون منطقيا. لكن الجانب المهم من دراسته للألفاظ كان في شروحه للدّال الكلّي والدّال الجزئي. نظرا لتعلقهما بالتصورات المنطقية.

–الدّال الكلّي: وهو كما ورد في الشرح "الذي لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه" [15] أي أن اللفظ الذي لا يمنع مفهومه أن يشترك في معناه كثيرون.وبتعبير آخر الذي يدل على كثيرين بمعنى واحد متفق.إما كثيرون في الوجود كالإنسان أو كثيرون في جواز التوهم. وهو يرادف العام. تقول: العلم الكلّي أو العلم الشامل لكلّ شيء. فالكلّي بالمفهوم الذي ذكره قدورة. هو الشامل لجميع الأفراد الداخلين في صنف معيّن و" الذي لا يمنع تصوره من أن يشترك فيه كثيرون لتتحقق بذلك مجموعة من الصفات في هذه الأفراد مثل إنسان*"[16].

لقد وسّع قدورة من دراسته للدّال الكلّي متجاوزا في ذلك ما ذكر في السلم. موردا ما أغفله الناظم. ذاكرا بذلك أقسام الكلّي الثلاثة وأوّل هذه الأقسام هو:

–الدّال الجزئي:يشرح قدورة معنى الجزئي ليبين أنّه خلاف الكلّي في قوله:" وهو الذي لا يفهم الإشتراك فيه" [17] وله تعقيب وتوضيح على ذلك."إن الجزء في اللغة ما يتركب الشيء منه ومن غيره."[18]

أما إصطلاحا فهو الذي لا يمكن أن يكون معناه الواحد لا بالوجود ولا بحسب التوهم لأشياء فوق واحد. بل يمنع نفس مفهومه من ذلك. ومعنى ذلك أنّه اللفظ الذي لا يصلح مدلوله لإشتراك كثيرين فيه. كأسماء الأعلام من زيد وعمرو ونحوه. وهو ما خصوصيته بالنسبة إلى ما هو أعم منه، أي اللفظ الذي يقال على مدلوله وعلى غير مدلوله لفظ آخر من جهة واحدة. كلفظ الإنسان فإنه جزئي ويقال على مدلوله حيوان.

فالجزئي بهذا المعنى هو الإسم الذي يمكن إطلاقه على شيء واحد معيّن بالذات. ومن ثم لا يصلح لأن يشترك في معناه أفراد كثيرة.

أضرب الدّال المفرد :يقيم قدورة تقسيمات المفرد على تفريع دلالي يأخذ كمعيار دلالته على الكلّ أو الجزء. وإمكانية حمله على كثيرين من الفاعلين.

–الإسم: يقول قدورة في ماهية الإسم المفردة "الإسم هو الذي ينقسم إلى كلّي وجزئي. والكلّي هو الذل لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه"[19].

–الفعل: يقول فيه: "فالفعل كلّي لأنّه يصح حمله على كثيرين من الفاعلين"[20].

–الحرف: يقول فيه: "والحرف ليس بكلّي ولا جزئي. إذ لا معنى له في نفسه وإنّما معناه في مدخله"[21].

يحدد قدورة أضرب المفرد وهي ثلاثة: إسم، فعل وحرف. وذلك بالنسبة إلى الكليّة والجزء أي بالنظر إلى مدلوله أو معناه. لأن الكليّة والجزئية من عوارض المعاني. و" اللفظ المفرد لا يدل المستمع على معناه إن لم يعلم أن اللفظ موضوع للمعنى ولا يعرف ذلك حتى يعرف المعنى. فتصور المعاني المفردة يجب أن يكون سابقا على فهم المراد بالألفاظ"[22].

–الألفاظ الكليّة: إن الألفاظ الكليّة خمسة: جنس ونوع وفصل وخاصة وعرض عام.ويذهب أيضا إلى وجود تراتب وأجناس متوسطة بين الجنس والنوع وهذا التوسط أخص من الجنس وأعم من النوع.ثمّ يذكر قدورة الكليّات الخمسة بالتفصيل. مبيّنا حمل الكلّي على الآخر ودور كل واحد منها. فالجنس يرسم بأنّه كلّي يحمل على أشياء مختلفة الذوات والحقائق. والنوع يحمل على أشياء تختلف بالعدد. ويدخل تحت الجنس. والفصل يوصف بأنّه كلّي يطلق على حقائق مختلفة. وتشير لنا الشروح بأن قدورة كان أكثر دقة في.

الموضوع الثاني: تعدد الدّال (اللفظ والمدلول):

بعد تحديده لأقسام الدّال المفرد من حيث النظر إلى معناه إلى الدّال الكلّي والدّال الجزئي. شرع الآن في ذكر أقسام الدّال الكلّي باعتبار وحدته ووحدة مدلوله. فعرض بذلك أربع منازل في نسبة الألفاظ إلى معانيها. وقد وردت تسميتها نفسها في السلم. ويتميز فيها بالشرح والتفصيل.أما المنازل الأربعة والواردة عند قدورة وهي:

أ/دال واحد لمدلول واحد: أي لفظ واحد لمعنى واحد. وهو على قسمين:

1/الدّال المتواطئ *: يحدده قدورة على أنّه: "الكلّي الموضوع لمعنى مستوي في مجاله" [23] أي أن أفراد المتواطئ تكون مستوية في مجال واحد. وذلك نحو: الإنسان ودلالته على زيد وعمرو. فهو يدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها. كدلالة الحيوان على الإنسان والفرس والطير. فإن حظ الفرس والطير من الحيوانية متساوية لحظ الطير منها.

2/ الدّال المشكك: يشير قدورة إلى ماهية المشكك فيقول: "والمشكك هو الكلّي الموضوع لمعنى مختلف في مجاله إما بالكثرة أو القلة"[24] وذلك كالنور بالنسبة للسراج والشمس.

2/الدّال المتباين: (دال كثير لمدلول كثير) وهي الألفاظ المتباينة.أي الأسماء المختلفة الدّال والمدلول أي في اللفظ والمعنى على حدّ سواء. يقول فيها قدورة: "الألفاظ التباينية والمتباينة المتفارقة. فمتى إختلف المعنى تحققت المفارقة بين اللفظين"[25] وذلك نحو: رجل، فرس، مفتاح. فهي ألفاظ مختلفة المدلول أو المعنى.

3/الدّال المشترك : (دال واحد ومدلول متعدد): وهي "التي يتحد فيها اللفظ ويتعدد معناها فهي المشتركة."[26] وهو صورة من صور تعدد المعنى.أي ما إتفق لفظه واختلف معناه وذلك نحو: لفظ القنوت. التي تأتي للمعاني التالية: الطاعة، القيام ب في الليل، الدعاء في الصلاة. ومثل لها قدورة بلفظ العين فهي موضوعة للعين الباصرة. عين الماء. عين الجاموس. عين الذهب. فهو لفظ واحد يطلق على معاني مختلفة.

لقد توسع قدورة في شرح دلالات الألفاظ أكثر مما جاء في السلم. وقد تأثر تأثرا واضحا به. إلاّ أنّه قام بالتحليل والشرح والتبسيط أكثر لتقريب وتوضيح المسائل المتعلقة بالألفاظ ودلالتها. وقد استعرض علاقات الألفاظ بالمعاني. متوسعا في شرحه لها حتى إعطاء المعنى اللغوي لها.

ولعلّ ما يتسم به أسلوب المؤلف هو البساطة والسهولة. ولكنها بساطة السهل الممتنع، بساطة الأسلوب العلمي الخالي من الزخرفة اللغوية، بساطة القادر المتمكن من تبليغ المعاني بألفاظ سهلة في تعبير واضح وتركيب متين، متسلسل الأفكار، ومن سمات أسلوبه أيضا الإيجاز غير المخلّ بالمعنى وهو الذي يوصل إلى المقصود بأقل تكلفة لفظية ومن أخصر طريق، ومن ذلك مثلا قوله في تعريف للفظ المفرد:« هو (ما دل) الذي لا يدل جزؤه على جزء معناه» واللفظ المركب "هو الذي ما يراد بجزئه الدلالة على جزء معناه. والدال إن كان لفظا فدلالته لفظية. واللفظ المركب إما طلب إن أفاد طلبا وإما خبرا إن احتمل الصدق والكذب وهذا أدل على بساطة الأسلوب، إضافة إلى هذا فإن ما تميز به أسلوبه هو الوضوح أي أنّه خالي من التعقيد والالتواء حيث أنّه ينساب وراء الألفاظ السهلة التي يفهمها القارئ، وينفر من التكلف وينأى عن الحشو مما يجنبه الركاكة. إلاّ أنه وفي بعض المسائل كان يسهب في شرحها حسب طبيعتها. وإناقتضى الأمر ذلك لكنها قليلة ولم تعمّ كل المسائل من ذلك في حديثه عن أقسام الدال المفرد وبعد انتهائه من تفصيل ذلك يقول: « هذا تقسيم للفظ المفرد من حيث النظر إلى معناه إذ الكليّة والجزئية من عوارض المعاني. وأما الألفاظ فقد تسمى كلية وجزئية تبعا للمعنى تسمية للدال باسم المدلول، والدال هو المرشد، والمدلول هو المرشد إليه. وهو قسمان كلّي وجزئي». وغرضه من هذا كلّه هو التبسبيط والتوضيح مع تقريب الفهم إلى القراء بأسلوب يفهمه كل قارئ. وهذه نماذج قليلة تبيّن أسلوب الكاتب في إجلاء معانيه وفقا لمنهجية واضحة المعالم. استكشفنا من خلالها نضج أسلوبه الذي كان منذ البداية قويا، وسار في مستوى أفقي من أول الكتاب إلى آخره محافظا على قوته وتوازنه دون أن يعتريه ضعف أو إنهاك. وهذا ينمّ عن تجربة في ميدان التأليف، ويوحي بأن سعيد قدورة سبق له أن ألف كتبا قبل تأليفه لهذه الحاشية [27] لأننا حين نقرؤه ونستجلي معانيه، ونمعن في منهجيته.

هوامش وإحالات

[1]- الجزائر في التاريخ 4 العهد العثماني، د/ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، ص123.

[2]- المرآة، حمدان بن عثمان خوجة، تقديم محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972، ص48.

*هو عبد الكريم ابن الفكون، ولد **1083هـ** وتوفي **1073هـ**، فهو علامة زمانه، من أسرة جزائرية ذات مجد في القدم، له منشور "الهدية في كشف حال من ادعى الدراية" ترجمته: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ط 1، بيروت، 1971 ص58.تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي، ج1، ص191.

[3]- تاريخ الأدب الجزائري، محمد بن عمر الطمار. ش.و.ن.ت الجزائر(دت)، ص218.

[4]- هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري ولد **786هـ** وتوفي **875هـ**، شغل عدة مناصب، سافر إلى خارج الجزائر، ألف في مختلف العلوم، ترجمته تعريف الخلف ص76، تاريخ مدينة الجزائر ص74، تاريخ الجزائر العام ص120.

[5]- يعد من المعجبين بسعيد قدورة، وذكر أنه كان لقدورة نواب في الخطبة وهم: محمد بن قرواش، سيدي مزيان، ابن رأس العين، أما الرابع فلم يذكر إسمه"تاريخ الأدبالجزائري" محمد بن عمر الطمار، ص218.

*يتكون من العلماء وصاحب بيت المال والمفتي الحنفي والمفتي المالكي.

[6]- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19مللآغا بن عودة المزاري، تح، د/ يحي بوعزيز دار الغرب الإسلامي، بيرت، لبنان، ط1، 1990، ج1، ص250، ومن ذلك ثورة الكراغلة وثورة ابن صخري سنة 1634م.

*معجم مشاهير المغاربة، د/ أبو عمران الشيخ، ناصر الدين سعيدوني، ص436.

- المهدي بوعبدلي، أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي، الأصالة، عدد8، جوان 1972، ص62.

[7]- تاريخ الجزائر الثقافي، د/ أبو القاسم سعد الله، ج1، ص368.

[8]- Catalogue genirale du manuscrits de la bib- Nation- d'algerie- pare. FAGNAN,p63.

[9]- معجم مشاهير المغاربة، د/ أبو عمران الشيخ، د/ ناصر الدين سعيدوني، ص440.

[10]- المصدر نفسه، ص443.

[11]- المصدر نفسه، ص 18.

[12]- منطقأرسطو، عبد الرحمان بدوي. وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، ط2، 1980، لبنان، ص 98.

[13]- منطق أرسطو، عبد الرحمن بدوي، ص: 12.

[14]- شرح السلم المرونق في علم المنطق، سعيد قدورة، ص: 19.

[15]- شرح السلم المرونق في علم المنطق. سعيد قدورة، ص: 18.

[16]- النطق ومناهج البحث. د. ماهر عبد القادر محمد علي، ص: 23.

*فإنه يمكن أن على زيد وعمرو وعلى غيرهما. فإن زيد إنسان وعمرو إنسان.

[17]- شرح السلم المرونق في علم المنطق، سعيد قدورة، ص: 19.

[18]- التعريفات، الشريف الجرجاني، ص: 51.

[19]- شرح السلم المرونق في علم المنطق، سعيد قدورة، ص: 19.

[20]- المصدر نفسه، ص: 19.

[21]- المصدر نفسه، ص: 19.

[22]- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمعه عبد الرحمن الحنبلي. مطابع الرياض، ط1-1381هـ- كتاب المنطق. م9. ص: 49.

*التواطؤ بمعنى التوافق ومنه قوله تعالى: [إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] (التوبة 37) أي ليوافقوا.

(23)– شرح السلم المرونق في علم المنطق، سعيد قدورة، ص: 26.

(24)– المصدر نفسه، ص: 26.

(25)– المصدر نفسه، ص: 26.

(26)–المصدر نفسه، ص:26.

(27)– له "شرح خطبة مختصر خليل في الفقه، حاشية على شرح القاني، شرح المنظومة الخزرجية في العروض، حاشية على شرح صغرى السنوسي".